

المجر بعد أوروبان.. دولة تعيد تعريفها

الكاتب



يسرا عادل

في المساء الذي بدا عادياً فوق نهر الدانوب، كانت المجر تغير جلدها بصمت ثقيل، كأمة أنهكتها طول البقاء في صورة واحدة. لم تكن هزيمة فيكتور أوروبان مجرد انتقال سلطة، بل انكسار سرديّة حكمت البلاد ستة عشر عاماً، حتى بدت وكأنها قدر لا يُكسر. ثم كُسر، لا بضجيج الشوارع، بل بتآكل داخلي بلغ لحظة الانكشاف.

جاء بيتر ماغيار بأغلبية دستورية حاسمة 141 مقعداً من أصل 199 تفويضاً لا يتيح له الحكم فحسب، بل إعادة كتابة قواعده. لكن السؤال الأعمق لم يكن كيف فاز، بل لماذا خسر أوروبان؟ خلال العامين الأخيرين، تجاوز التضخم في المجر حدود 20% في ذروته، متأكلاً في صمت القدرة الشرائية للطبقة الوسطى، بينما ظلت أكثر من 10 مليارات يورو من أموال الاتحاد الأوروبي مجمدة بسبب مخاوف تتعلق بسيادة القانون. في الوقت نفسه، بات ما يُقدر بنحو 80% من المشهد الإعلامي خاضعاً بشكل مباشر أو غير مباشر لنفوذ السلطة، في فقاعة لم تعد تقنع حتى جمهورها. ثم جاءت حرب أوكرانيا لتضع أوروبان في موقع ملتبس، أقرب إلى فلاديمير بوتين منه إلى أوروبا، ففقد توازنه بين الداخل والخارج معاً.

المفارقة أن ماغيار لم يأت من خارج هذا النظام، بل خرج من رحمه. كان جزءاً من دوائره، شاهداً على آلياته، قبل أن يتحول إلى خصمه. ولهذا، لا يقدم نفسه ككائن، بل كمُرمم يعيد التوازن: مكافحة الفساد، استعادة أكثر من عشرة مليارات يورو مجمدة من الاتحاد الأوروبي، وإعادة بناء القضاء والإعلام.

في عهد أوروبان، لم تكن الدولة إطاراً محايداً، بل أداة أعيد تشكيلها تدريجياً حتى غدت مؤسساتها امتداداً للسلطة لا رقيباً عليها. ومن هنا، لا يرث ماغيار مؤسسات قابلة للإصلاح، بل بنية صُممت لتقاومه. معركته الأولى لن تكون مع خصومه في البرلمان، بل مع «شكل الدولة» نفسه: أن يفكك دون أن يُسقط، وأن يعيد البناء دون أن يعيد تركيز القوة في يد واحدة. وهي معادلة نادرًا ما تنجح، لأن أدوات الإصلاح حين تشتد قد تتحول بسهولة إلى أدوات سيطرة جديدة. وأوروبياً، لم يُقرأ الحدث كفوز معارضة، بل كعودة دولة. داخل الاتحاد الأوروبي، بدا وكأن بودابست تقترب مجدداً من

مركز القرار بعد سنوات من الفيتوهات المعطلة. إعادة تدفق الأموال، واحتمال رفع العوائق أمام دعم كيبف، تعني أن «العضو المشاغب» قد غادر موقعه. لكن السؤال الأهم يبقى: هل انتهت «الأوربانية» كنهج، أم أنها انكفأت مؤقتاً؟ في موسكو، تُقرأ الخسارة بوضوح أشد. لم يكن أوربان مجرد حليف، بل أداة تعطيل داخل أوروبا تمنح فلاديمير بوتين ما هو أضمن من الدعم: الوقت. ومع غيابه، تخسر روسيا قدرتها على إبطاء خصومها من الداخل. إنها خسارة درامية لنقطة ارتكاز، لكنها ليست هزيمة كاملة فتماسك أوروبا نفسه لا يزال عرضة للاهتزاز، من الحرب في أوكرانيا إلى تعقيدات أسواق الطاقة عبر مضيق هرمز، حيث يكفي اضطراب محدود لرفع الأسعار عالمياً وإرباك الحسابات الأوروبية.

أما الولايات المتحدة، فلا تنظر إلى المجر كدولة محورية بقدر ما تراها عقدة داخل شبكة أوسع. زيارة جي دي فانس عشية الانتخابات دعماً لأوربان عكست رهاناً على استمرار نموذج الشعبوية المرتبط بتيار دونالد ترامب، لكن النتيجة كشفت حدود هذا الرهان. المجر ليست أولوية لواشنطن، لكنها ليست هامشية؛ فهي نقطة توازن داخل أوروبا والناو، وأي تحول فيها ينعكس على تماسك الغرب ككل.

في المقابل، تخسر الصين أحد أكثر أبوابها انفتاحاً داخل أوروبا. فلم تكن بودابست في عهد فيكتور أوربان مجرد شريك اقتصادي، بل نقطة ارتكاز في مشروع الحزام والطريق داخل القارة. من خط السكك الحديدية بين بودابست وبلغراد إلى مشروع جامعة فودان الذي أثار احتجاجات واسعة، لم يكن الحضور الصيني عابراً، بل كان جزءاً من إعادة رسم موقع المجر بين الشرق والغرب.

داخلياً، يفتح التفويض الدستوري الباب أمام تغييرات عميقة: تعديل قواعد الحكم، إعادة هيكلة الإعلام، ومحاسبة شبكات الفساد. لكن الخطر الحقيقي لا يكمن في صعوبة الهدم، بل في تعقيد البناء. فالنظام الذي استمر ستة عشر عاماً لم يترك مؤسسات فقط، بل ترك ثقافة سياسية وشبكات نفوذ قد تعرقل أي محاولة إصلاح. المشكلة ليست في أن النظام سقط، بل في أن أجزاء منه ما زالت قائمة داخل الدولة نفسها.

أما أوربان، فلم يغادر تماماً. سيبقى زعيماً للمعارضة، وربما رمزاً لتيار لم ينته بعد. وهنا يتجاوز السؤال مصيره الشخصي إلى ما هو أعمق: هل انتهت الحاجة إلى «الرجل القوي»، أم أنها تنتظر شكلاً جديداً؟ في النهاية، لا تغير المجر حكومتها فحسب، بل تختبر قدرتها على إعادة تعريف الدولة نفسها. الاختبار الحقيقي ليس في إسقاط رجل قوي، بل في قدرة دولة على ألا تبحث عن بديل له.

yusra.adil@hotmail.com